مفهوم الربوبية والألوهية من خلال قصة ابراهيم – عليه السلام – في سورة الأنبياء دراسة عقدية

أمة العليم محمد محمد القزحي

باحث دكتوراه – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء

Alieemh2020@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث موضوعاً عقائدياً مهماً، يُعتبر أساس مواضيع العقيدة، وأصل دعوة كل الرسل، وهو توحيد الربوبية والألوهية، والموضوع ليس بالجديد لكن جدته تظهر حين يكون بيان ذلك من خلال قصة إبراهيم –عليه السلام– في سورة الأنبياء، حيث وهو يهدف إلى إثبات توحيد الربوبية والألوهية من خلال الأدلة والحجج والبراهين القطعية التي أقامها إبراهيم –عليه السلام– على قومه في القصة المذكورة في السورة السابقة الذكر، ولبيان ذلك كان لابد من توضيح معنى توحيد الربوبية والألوهية، والعلاقة بينهما، وكان الحديث عنه في المبحث الأول، في حين تناولتُ في المبحث الثاني قصة إبراهيم –عليه السلام– الواردة في سورة الأنبياء وتفسيرها تفسيراً موجزاً يزيدها وضوحاً وبياناً، ليكون المبحث الثالث في إثبات ربوبيته تعالى وألوهيته من خلال ما ورد في القصة من حجج وبراهين أقامها إبراهيم –عليه السلام– على قومه، وكانت من نتائج البحث أنه –عليه السلام– سلك مع قومه طريقة التدرج في بيان بطلان ما يقومون به من عبادة الأوثان دون الله –عز وجل–، وأقام عليهم في ذلك حجج عديدة، وأبرزها الحجة القولية لإثبات ربوبيته تعالى، ثم الحجة الفعلية التي من خلالها أثبت لهم نقص آلهتهم وعجزها، ومن ثم ذكرت بعض التوصيات المهمة والتي منها تناول قصة إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم كاملاً، من تأملاته، وأسرته، وبنائه للكعبة، وتبشيره بأولاده، وقصته مع الذبيح، وشفاعته لآل لوط، ومنهجه في دعوته لأبيه وقومه، ومعجزاته، ومجادلته مع قومه، وموقفهم منه ومن دعوته، وكيف كانت نهايتهم، وغير ذلك من القضايا المرتبطة بالجانب العقدي، وتناول جميع قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم بالبحث والدراسة من الناحية العقدية لا التفسيرية. وختمت البحث بذكر أهم مصادره ومراجعه. وفي الأخير نسأل الله تعالى البر والتقوى ومن العمل ما يرضى والسلام على من اتبع الهدى.

10

Concepts of Deism and Godhood in the Story of Ibrahim (pbuh) in Surah Al-Anbya: A Doctrinal Study

Amat-Alaleem Mohammed Mohammed El-Qezhi
PhD research scholar, Faculty of Arts & Humanities, Sana'a University

ABUSRTACT:

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions and guided by his guidance to the Day of Judgment;

This topic deals with an important ideological subject, which is the basis of the themes of the Creed, and the origin of the call of all the Apostles, namely the unification of Godliness and divinity. The subject is not new, but his grandmother appears when the statement is made through the story of Abraham. And the divinity through the evidence and the arguments and the conclusive evidence established by Ibrahim - his - his people in the story mentioned in the above sura, and to show that it was necessary to clarify the meaning of the unification of Godliness and divinity, and the relationship between them, and was talk about in the first topic, while dealt in the second topic The story of Ibrahim - the story - contained in Surat The Prophets and their interpretation are a brief explanation, which is further clarified and clarified, so that the third topic in proving the Almighty's deity and divinity is through what is stated in the story of the arguments and proofs established by Abraham-his people. The most important of which is the argument to prove the Almighty, then the actual argument through which he proved to them the lack of their gods and helplessness, and then mentioned some important recommendations, including the story of Ibrahim - In the whole Quran, from his meditations, his family, his construction of the Kaaba, and his preaching And his approach to him and his call, and how was their end, and other issues related to the nodal side, and to address all the stories of prophets and messengers in the Koran and research and study of The nodal area is not interpretative. The research concluded by mentioning its most important sources and references. In the latter, we ask Allaah to grant righteousness and piety, and to do what pleases and peace to those who follow the guidance.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله – صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه....وبعد:

فإنَّ أعظم الفقه في الدين هو الفقه الأكبر، وقد سمّاه السلف الصالح فقه العقيدة والأصول والمسلمات والثوابت التي يقوم عليها الدين، وهذه العقيدة قوامها توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وهي التي دعا إليها جميع الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى مذ خلق آدم –عليهم السلام– وحتى ختم بهم محمد – ﷺ، قال– تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[1]، فجميع الرسل يدعون إلى الله تعالى وتوحيده في العبادة، والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء والرسل وموقف أقوامهم منهم ومن دعوتهم، حتى إن عباراتهم أثناء دعوتهم لأقوامهم تكاد تتفق، فكلهم يقولون لأقوامهم كما قال – تعالى– في محكم كتابه حكاية عن أغلب رسله: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[2]، وما إبراهيم –عليه السلام– إلا واحد من هؤلاء الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله لينذروا قومهم، ويدعونهم إلى وحدانيته تعالى، وقد ورد ذكره كثيراً في القرآن الكريم، وذُكرت قصته من قومه لأكثر من مرة، وفي أكثر من سورة، ووقع اختياري على تناول قصته التي ذكرها الله تعالى في سورة الأنبياء دون غيرها، لأنها أبين في ورود الحُجة، وذكر الدليل، ولأنها ذكرت قصته بطريقة موجزة كاملة افتتاحاً وجوهراً ونهاية، فهي مكتملة موجزة، وإلا فقد ورد بيانها في سورة الشعراء مقاربة لها، وكما ورد تفصيلها في سورة الأنعام، وغير ذلك من السور القرآنية التي أشارت إليها، ومما هو معلوم أن علم العقيدة يُعَدُّ أهم العلوم الشرعية، والضابط لأحكامها، ولما كان إحياء جهود العلماء السابقين من الأهمية بمكان وقع إختياري عليه، ليكون موضوع دراستي في هذا البحث، والذي وسمته بـ(مفهوم الربوبية والألوهية من خلال قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء – دراسة عقدية)، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(1) سورة النحل: آية(36).

(2) سورة الأعراف: آية(59)، وهي متكررة في مواضع عدة من السورة وغيرها من السور في القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

1- إن كل بحث يكتسب أهميته من خلال موضوعه ومتعلقه، وهذا البحث قد تناول موضوعاً مهماً، وهو توحيد الربوبية والألوهية، الذي يعتبر أساس دعوة كل الرسل، وهدف الشرائع السماوية.

2- بيان جانب من جوانب الدين الإسلامي، وهو جانب العقيدة الإسلامية الحقة.

3- الإسهام ببيان مسائل العقيدة التي يجب أن يكون المسلم عالماً بها، متبعاً لصحيحها، عارفاً لمفاهيمها.

4- توضيح التفسير العقدي للآيات القرآنية، وأثر القصص القرآنية في بيان ذلك.

5- المساهمة بالتأصيل العقدي لتوحيد الربوبية والألوهية، من خلال ما ورد من أدلة عقلية: قولية وفعلية في قصة إبراهيم –عليه السلام–.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

وأهم أسباب اختيار الموضوع تكمن في النقاط الآتية:

1- جدة الموضوع، حيث لم يسبق أن تناول أحد قبلي هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

2- إبراز أدلة عقلية قوية في بيان ربوبية الله تعالى ووحدانيته في صورة قصصة قطيعة النظير.

3- الرغبة في دراسة موضوعات العقيدة، والتجديد في إظهار مواضيعها.

4- الإسهام في خدمة علم العقيدة وعلومها، وتيسير الوصول إلى أهدافها وأحكامها.

أهداف البحث:

1- إفراد مفهوم توحيد الربوبية والألوهية في قصة إبراهيم عليه السلام، ودراستها دراسة تحليلية، وبيان أهميتها.

2- المساهمة بإيراد الأدلة التي توضح العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

3- بيان قصة إبراهيم –عليه السلام– الواردة في سورة الأنبياء بصورة سهلة وميسرة مما يستفيد منها الناس عموماً وطلاب العلم خصوصاً.

4- تناول قصة إبراهيم –عليه السلام– الواردة في سورة الأنبياء بعد تفسيرها بالتحليل العلمي والإستنباطي، وتتبع ما ورد فيها من أدلة وحجج عقلية قولية وفعلية من شأنها بيان ربوبية الله تعالى وألوهيته.

5- محاولة إظهار قصة إبراهيم عليه السلام بطريقة موجزة توعوية إيمانية، لأخذ العظة والعبرة منها، وترسيخها في نفوس الأبناء ونفع الأمة الإسلامية بها.

الدراسات السابقة

لقد تتبعت هذا الموضوع من خلال الشبكات الإلكترونية والموسوعات العلمية التي تمكنت من الإطلاع عليها، وكذلك المكتبات التي استطعت الوقوف عليها، فلم أجد أحداً تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وإلا ما ذُكر عرضياً ضمن كتب العقيدة، وهو ذكر عرضي سطحي غايته في أغلبها ذكر طرف من آيات القصة المتناولة ، كما نُشِرَت –حسب علمي– عدد من المقالات حول حوار الأنبياء مع رسلهم، وحول منهجهم في دعوة أقوامهم، ويعتبر سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من جملتهم، لكنها كلها مقالات لا تفي بالموضوع، كما أن هناك بحثاً للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، بعنوان الحوار في قصص إبراهيم – عليه السلام– في القرآن الكريم، وهو منشور في موقع إلكتروني اسمه: الحوار اليوم، باشراف الشيخ الدكتور خالد حسن هنداوي، تعرض فيه لمنهجه –عليه السلام– في حواره مع قومه، وقد أفدت منه، إلا أن فقرات موضوعي تختلف عنه، كوني تناولت القصة من زاوية أخرى؛ وهي إثبات ربوبية الله تعالى وألوهيته، وهذا مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع.

منهج البحث:

المنهج الذي أراه محققاً لأهداف بحثي، ومؤدياً إلى تحقيقة الثمرة المرجوة منه هو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تتبع الأدلة والحجج العقلية والفعلية، ودراستها على ضؤ القرآن الكريم، ثم بيان ما استنتجته من كل دليل، وقد اعتمدت في تفسير آيات القصة على ثلاثة مؤلفات فقط إذ ليس الغرض تفسيرها وإنما تحليلها عقدياً، واستنباط ما يمكن استنباطه من المسائل العقدية.

مشكلة البحث:

تتمثل في إبراز الأدلة والحجج العقلية والفعلية في قصة إبراهيم–عليه السلام، وإظهار التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهو على النحو الآتي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث، حيث وقد حتمت المقدة بمشكلة البحث ومحتوياته.

المبحث الأول: معنى توحيد الربوبية والألوهية والعلاقة بينهما، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: معنى توحيد الربوبية والألوهية؛ وذلك في فرعين:

الفرع الأول: معنى توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً.

الفرع الثاني: معنى توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

المبحث الثاني: قصة إبراهيم – عليه السلام – في سورة الأنبياء.

المبحث الثالث: إثبات الربوبية والألوهية من خلال قصة إبراهيم –عليه السلام– في سورة الأنبياء.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال بحثها، ثم توصياتها للبحث، مع أهم مقترحاتها التي تأمل الأخذ بها، ثم تم تذييل البحث بأهم مراجعه ومصادره.

المبحث الأول

معنى توحيد الربوبية والألوهية والعلاقة بينهما

سيكون الكلام في هذا المبحث عن المعنى اللغوي والإصطلاحي لتوحيد الربوبية والألوهية، وبيان العلاقة بينهما، وبناءً على ما سبق سيكون الحديث عنه في مطلبين؛ وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: معنى توحيد الربوبية والألوهية:

الفرع الأول: معنى توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً:

التوحيد: مصدر وحد يوحد توحيدًا، أي: جعله واحدًا، والتوحيد: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية[1]، وسمي دين الإسلام توحيدًا لأن مبناه على أن الله تعالى واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له[2] والربوبية مشتقة من الفعل ربَّى، والربُّ هو السيد، والمربي أي: المالك والمصلح[3].

(1) يُنظر: **الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (281/3).

(2) يُنظر: **عبد الوهاب:** سليمان بن عبد الله بن محمد(ت1233هـ)، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى(1423هـ -2002م)، (ص17).

(3) يُنظر: **القزويني:** أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا(ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط، عبد السلام هارون، دار الفكر، (381/2)، و**ابن منظور:** محمد بن بكر (ت711هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، 1119كورنيش النيل، القاهرة، (401/1-403).

وتوحيد الربوبية يعني الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء ومربه ومالكه[1] وقيل هو: الإقرار بأن الله –ﷻ– خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال[2].

وعند المتأخرين أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى ربٌّ كلِّ شيءٍ، وخالقه، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، والنافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الإضطرار، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر[3] وقد أقر به المشركون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[7]، فالكفار المشركون مقرون أن الله تعالى خالق السموات والأرض، وليس في جميع الكفار من جعل لله تعالى شريكاً مساوياً له في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط؛ المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة، ولا من عُبَّاد الأنبياء والصالحين، ولا من عُبَّاد التماثيل والقبور وغيرهم، فإن جميع هؤلاء – وإن كانوا كفاراً مشركين متنوعين في الشرك – مقرين بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله[8].

---

(1) يُنظر: **ابن تيمية:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت728هـ)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى(1406 هـ – 1986 م). (289/3).

(2) يُنظر: **الصالحي:** صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي(ت792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبدالله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى (1426هـ – 2005م). (ص86).

(3) يُنظر: **السفاريني:** شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية (1402 هـ – 1982 م)، (128/1).

(4) سورة يوسف: آية(106).

(5) سورة العنكبوت: آية(61).

(6) سورة المؤمنون: آية(84).

(7) سورة المؤمنون: آية(85–89).

(8) يُنظر: **ابن تيمية:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، اعتنى بها وخرج وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، (50/11–51).

وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3].

فهذه الآيات القرآنية كلها تقرر حقيقة واحدة؛ وهي إقرار الكفار و المشركين أن الخالق والمالك والمدبر والمتصرف هو الله –ﷻ– وحده لا شريك له.

ومن خلال ما سبق: نجد أن توحيد الربوبية هو توحيد الله تعالى بأفعاله، ولذا لم يُعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول.

الفرع الثاني: تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً:

سبق تعريف مفردة التوحيد، والألوهية في اللغة: مشتقة من ألـه إلاهة وألوهة وألوهية: أي: عبد عبادة، والمتألهُ: المتعبدُ، وبذلك سمي الإله[4].

وتوحيد الألوهية: أي: توحيد العبادة، والإله بمعنى مألوه؛ أي: معبود. وألَّهَهُ: اتخذه إلهاً؛ أي: معبوداً. وكل ما اتُخِذ معبوداً، فهو إله عند مُتخِذه[5].

وأما تعريف توحيد الألوهية شرعاً عند العلماء فيقصد به عبادة الله –ﷻ– وحده لا شريك له، وألا نعبده إلا بما أحبه وما رضيه، وهو ما أمر به وشرعه على ألسن رسله – صلوات الله عليهم، فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله–ﷺ، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله –ﷻ– ورسوله–ﷺ– أحب إلى العبد من كل ما سواهما. وهو يتضمن أن يحب

---

(1) سورة الزخرف: آية(9).

(2) نفس السورة: آية(78).

(3) سورة لقمان: آية(25).

(4) يُنظر: **القزويني:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(ت395هـ)، **مجمل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية(1406 هـ – 1986 م)، (101/1)، و**الشيرازي:** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817)، **القاموس المحيط**، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، (1301هـ)، الهيئة المصرية للكتاب، (ص1242).

(5) يُنظر: **الجوهري:** إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، (1990م)، (6/ 2223)، والشيرازي: القاموس المحيط، (ص1603).

الله تعالى حباً لا يماثله ولا يساويه فيه غيره[1].

وعرفه ابن قيم الجوزية[2] –رحمه الله تعالى: أن معناه: وَحْدَهُ الإله المعبود المحبوب، الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له[3]، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه، فإن الرسول –ﷺ– إنما يحب ويطاع ويتبع لأجل الله تعالى[4].

وقيل: توحيد الألوهية إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والإفتقار، والتوجه إليه تعالى[5].

وكلها تعريفات متقاربة المعنى وتكاد تؤدي إلى معنى واحد، وهو عبادة الله تعالى وحده، والإخلاص له في كل عمل، والتوجه إليه في كل ما يصدر منَّا سواءً كان تصرفاً أو قولاً أو حتى نيةً.

وكما أنه يسمى بتوحيد الألوهية؛ كونه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله تعالى وحده، فكذلك له مسميات أخرى؛ منها:

- توحيد العبادة؛ كونه يستلزم إخلاص العبادة له وحده لا شريك له.
- التوحيد الإرادي الطلبي؛ لأنه مبني على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال.
- توحيد القصد والطلب؛ لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.
- توحيد الفعل؛ لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فهو توحيد الله تعالى بأفعال العبيد.

---

(1) يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (378/14).

(2) هو الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، الفقيه المفسر النحوي، له التصانيف كثيرة، ومنها: "بدائع الفوائد" و"زاد المعاد" و"الداء والدواء" و"زاد المسافرين" و"سفر الهجرتين وباب السعادتين" و"إعلام الموقعين عن رب العالمين" وغيرها. توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة للهجرة. ينظر: **ابن رجب:** عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ)، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى(1425 هـ – 2005 م)، (170/5) رقم(600)، **والفيسي:** شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد، الشهير بابن ناصر الدين (ت842هـ)، **الرد الوافر**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة(1411هـ –1991م)، (68/1) رقم(28).

(3) يُنظر: **الجوزية:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم (ت751هـ)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (132/4).

(4) يُنظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، (649/10).

(5) يُنظر: السفاريني: لوامع الأنوار البهية، (129/1).

- توحيد العمل، لأنه مبني على إخلاص العمل لله تعالى وحده. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[1]، وقال -ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2]، وقال -ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾[3][4].

ولذا فإن توحيد الألوهية يعتبر أعظم أنواع التوحيد كلها وأهمها، لأنه به تُحكم الحياة تُبنى الشريعة.

المطلب الثاني: العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية:

إذا كان الله -ﷻ- وحده كما سبق بيانه في توحيد الربوبية – وذلك مستقر في نفوس الخلائق بالفطرة – فإنه يلزم منه أموراً، كالإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بأفعاله العامة؛ كالخلق، والرزق، والنفع، والضر، والإعطاء، والمنع، والإحياء، والإماتة، وغيرها، وكذلك الإيمان بقضاء الله – تعالى- وقدره؛ لأن ما يجريه الله – تعالى- في كونه، وما يقدره من مقادير هي من أفعاله -ﷻ، فإن استقر كل ذلك في نفوسنا وجب علينا – أيضاً- الإقرار بأنه الإله الحق المستحق للعبودية والخضوع دون سواه، فتوحيد الربوبية وحده لا يكفي، إذ ليس من العدالة أن نُقِر بأن الله – تعالى- هو الرب والمالك والخالق والمدبر والمتصرف والمحيي والمميت وحده لا شريك له، ثم ننصرف بالعبادة لغيره، ولهذا فقد كان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية سبباً لإقامة الحجة عليهم، فإنه يلزم منه الإقرار بتوحيد الألوهية، ألا ترى إن أسدى لك شخص معروف، فهل من المعقول أن تشكر شخص آخر على هذا المعروف، ولله تعالى المثل الأعلى.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته -جل وعلا- على وجوب توحيده في عبادته. ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته، احتج بها عليهم على أنه هو المستحق، لأن يُعْبَد وحده، ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم

(1) سورة الزمر: آية(2).
(2) نفس السورة: آية(11–12).
(3) سورة الزمر: آية(14–15).
(4) يُنظر: عبد الوهاب: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (ص21).

به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده، لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يُعْبَد وحده[1].

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أقرَّ بالأول لزمه الثاني؛ أي: من عرف أن الله تعالى ربه وخالقه ومدبر أموره، –وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته– وجب عليه أن يَعبُده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده، لزم إفراده بالعبادة.

والله –ﷻ– كثيراً ما يستدل على المشركين المقرين بتوحيد الربوبية بهذا[2]، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

ولذا نجد أن كفار قريش أقروا بتوحيد الربوبية، ولكنهم لم يدخلوا الإسلام به، ولم ينفعهم بل قاتلهم رسول الله –ﷺ– لكفرهم بألوهيته –ﷻ.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[4]، وكذلك لو رجعنا إلى نهايات الآيات التي سبق ذكرها في إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لوجدنا أنها تنتهي بدعوتهم إلى التفكير والتعلم والتعقل والتفهم، كطريق لمخاطبة فطرتهم التي فطر الله تعالى الناس عليها، علَّهم يتركون وثنيتهم وما هم عليه من الشرك، ويرجعون إلى بارئهم الذي فطرهم، وهي طريقة أيضاً تدلهم إلى الصراط المستقيم، فإن أبوا تكون حجة عليهم، ومن ذلك قوله

(1) يُنظر: **الشنقيطي:** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (1415هـ– 1995م)، (490/3).

(2) يُنظر: **صوفي:** عبد القادر بن محمد عطا، **المفيد في مهمات التوحيد**، دار الاعلام، الطبعة الأولى(1422هـ– 1423هـ)، (59/1–63).

(3) سورة البقرة: آية(21– 22).

(4) سورة الزمر: آية(38).

تعالى: ﴿ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وكما أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فإن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ وقد قرر القرآن الكريم هذا التضمين، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[4]، وفيها للمتأخرين قولان:

أحدهما: لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته.

وثانيهما: وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة[5] –رحمه الله تعالى– وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير[6] – رحمه الله تعالى– لم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه، كقوله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[7]، وذلك أنه قال –ﷻ: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾[8]، وهم لم يقولوا: أن العالم له صانعان، – بل قالوا: أن معه آلهة، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[9]، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

(1) سورة العنكبوت: آية(61).

(2) نفس السورة: آية(63).

(3) سورة لقمان: آية(25).

(4) سورةالإسراء: آية(42).

(5) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن الحارث السدوسي، الحافظ العلامة، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر.تابعي ثقة، ثبت، حافظ، روى عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وغيرهما، وكان من علماء وحفاظ أهل زمانه، توفي بواسط سنة سبعة عشر ومائة للهجرة. يُنظر: **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(1971م)، (85/4) رقم (541)، والداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي(ت 945هـ)، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (47/2) رقم (415).

(6) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة؛ منها جامع البيان في تأويل آي القرآن، توفي ببغداد سنة عشر وثلاثمائة للهجرة. يُنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (85/4) رقم (541)، والداوودي: طبقات المفسرين، (47/2) رقم (415).

(7) سورة الإنسان: آية(29).

(8) سورة الإسراء: آية(42).

(9) سورة ص: آية(5).

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[1]، بخلاف الآية الأولى[2]، فقد أنكروا توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية.

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[3]، فهذه الآية ذكرت برهانين يقينيين على امتناع أن يكون مع الله إله آخر، وقد عرف أنه لم يذهب كل إله بما خلق، ولا علا بعضهم على بعض، وترك ذكر هذا لعلم المخاطبين به، وأن ذكره تطويل بلا فائدة.

وهذه طريقة عامة الناس في الخطاب، يذكرون المقدمة التي تحتاج إلى بيان، ويتركون ما لا يحتاج إلى بيان[4]، وهذه هي طريقة القرآن الكريم، وطريقته فصيحة بليغة، لأن الكلام عن المعدوم عدم، فقد عُلم علماً قاطعاً أن الله تعالى ليس معه إله.

فهذه الآية تضمنت إثبات توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فإن الله تعالى بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجود إله معه أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة، فقال: ﴿إِذٗا ﴾؛ أي: إذ لو كان معه إله كما يقول هؤلاء المشركون؛ ﴿إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾.

وتوضيح هذا الدليل أن يقال: إذا تعددت الآلهة؛ فلا بد أن يكون لكل منهم خلق وفعل، ولا سبيل إلى التعاون فيما بينهم؛ فإنَّ الاختلاف بينهم حتمي، كما أن التعاون بينهم في الخلق يقتضي عجز كل منهم عند الإنفراد، والعاجز لا يصلح إلهاً، فلا بد أن يستقل كل منهم بخلقه وفعله، وحينئذ فإما أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كل منهم أن يقهر الآخرين ويغلبهم، فيذهب كل منهم بما خلق، ويختص بملكه؛ كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بمملكته إذا لم يجد سبيلاً لقهر الآخرين، وإما أن يكون أحدهم أقوى من الآخرين فيغلبهم ويقهرهم وينفرد دونهم بالخلق والتدبير، فلا بد إذاً مع تعدد الآلهة –التي هي في حق الله تعالى محالة – من أحد هذين الأمرين: إما ذهاب كلٌّ بما خلق، أو علو بعضهم على بعض.

وذهاب كلٌّ بما خلق غير واقع؛ لأنه يقتضي التنافر والإنفصال بين أجزاء العالم، في

(1) سورة الزمر: آية(3) .

(2) يُنظر: الصالحي: شرح العقيدة الطحاوية، (ص94).

(3) سورة المؤمنون: آية(91).

(4) يُنظر: ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، (313/3).

حين أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط الأجزاء، متسق الأنحاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثراً لإله واحد. وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده[1].

وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]، لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الألوهية الذي بيَّنه القرآن الكريم، ودعت إليه الرسل – عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل –عليهم الصلاة والسلام، ونزلت به الكتب هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[4]، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم[5].

ومن خلال ما سبق بيانه في هذا المبحث يتبَّن:

- أن توحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله –ﷻ– خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال.
- أن توحيد الألوهية: يعني إفراده تعالى بالعبادة، والتألُّه له، والخضوع والذل، والحب والافتقار، والتوجه إليه تعالى.
- أن توحيد الربوبية يستلزم منه توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فالعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة وثيقة ومتكاملة لا ينفك أحدها عن الآخر ولا يقبل الله تعالى من عباده أحدها دون الآخر، لأن توحيد الألوهية هو توحيد العبادة، لأن الألوهية هي العبادة، ولا يتحقق توحيد الألوهية إلا بأمرين أثنين:

الأول: أن نصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه دون سواه.

---

(1) يُنظر: **الهراس:** محمد بن خليل حسن (ت1395هـ)، **شرح العقيدة الواسطية**، ويليه ملحق الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة(1415هـ)، (ص135).

(2) سورة الأنبياء: آية(22).

(3) سورة لقمان: آية(25).

(4) سورة المؤمنون: آية(84–85).

(5) يُنظر: الصالحي: شرح العقيدة الطحاوية، (ص87–88).

الثاني: أن تكون العبادة موافقة لأمر الله – تعالى، ونهيه عن معصيته.

ويجمع هذين الأمرين الإخلاص والمتابعة.

المبحث الثاني: قصة إبراهيم – عليه السلام – في سورة الأنبياء

قبل البدء بسرد الآيات القرآنية التي تحكي قصة إبراهيم –عليه السلام– من سورة الأنبياء، وسرد أحداثها، رأينا أنه لا بد من تقديم تعريف مختصر للسورة، فسورة الأنبياء تعتبر جزءاً من الجزء السابع عشر في القرآن الكريم، وهي من السور المكية بالإجماع، وكان عبد الله بن مسعود[1] يقول الكهف، ومريم، وطه، والأنبياء من العتاق الأول وهي من تلادي يريد من قديم ما كسبت وحفظت من القرآن[2]، وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية، وكلماتها ألف ومائة وثمان وستون كلمة، وهي تحتوي على أربعة آلاف وثمان مائة وتسعون حرفاً[3].

والقصة كما ذكرتها السورة محصورة بين آية إحدى وخمسين إلى آية سبعين، وهي قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

---

(1) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة، كان قد حالف في الجاهلية عبد بن الحارث بن زهرة، كان إسلامه قديما أول الإسلام، روى عن: النبي– ﷺ، وروى عنه عدد من الصحابة وعدد من التابعين، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وكان عمره بضعاً وستين سنة، وقيل: توفي سنة ثلاث وثلاثين، والأول أكثر. يُنظر: **ابن عبد البر**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى(1412هـ – 1992م)، (987/3)، رقم (1659). و**ابن الأثير**: أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري(ت630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1415هـ – 1994م)، (381/3)، رقم (3182).

(2) **ابن عطية**: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي(ت546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا ـــــ استانبول، رقم 119،المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي بخفي ـــــ قمّ، دار الكتب العلمية، بيروت ـــــ لبنان، الطبعة الأولى (1422هـ ـــــ 2001م)، (73/4).

(3) يُنظر: **الثعلبي**: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (1422هـ – 2002 م)، (268/6).

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾

وقصة إبراهيم –عليه السلام– واضحة آياتها متسلسلة أحداثها بينة في دلالاتها، وسنذكر ما جاء في تفسيرها – وبصورة موجزة – يقول تعالى:

ولقد آتينا إبراهيم رشده – الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الأهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية – ووفقناه للحق، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة، وكنا عالمين أنه ذو يقين وإيمان بالله تعالى وتوحيد له، لا يشرك به شيئاً، وبأنه أهل لما آتيناه، واذكر – يامحمد – وقت قوله لهم: ما هذه التماثيل[1] التى أنتم لها عاكفون؟ لتقف على كمال رشده وغاية فضله، وهذا تجاهل منه – عليه السلام، حيث سألهم عن أصنامهم بـ"ما" التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم، كأنه لا يعرف أنها أصناماً، مع إحاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً، وعبَّر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها، وتوبيخاً لهم على إجلالها.

وقد أجابوا بذلك لمَّا أنَّ مآل سؤاله – عليه السلام – الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبيء عنه وصفه – عليه السلام– إياهم بالعكوف لها كأنه قال: ما هي؟ هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها؟ فلمَّا لم يكن لهم ملجأً يعتد به التجأوا إلى التقليد؛ حيث قال أبو إبراهيم وقومه له: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون.

فأبطله – عليه السلام – على طريقة التوكيد القسمي؛ حيث قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم الذين سنُّوا لكم هذه السنة الباطلة فى ضلال عجيب لا يقادر قدره ظاهر بيِّن بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك، ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب

(1) جمع مفرده تمثال، وهو اسم ذات، ما ينحت مشبها بالمخلوقات من عباد وحيوان وغيرها، صورة مصورة "صنعوا له تمثالا من رخام– تماثيل العظماء. ينظر: **عمر**: أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، الطبعة الأولى(1429هـ - 2008م)، (267/3).

المتناول لهم ولآبائهم، أي: والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده إلى دليلٍ ما، والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة.

قالوا لمَّا سمعوا مقالته – عليه السلام – استبعاداً لكون ماهم عليه ضلالاً وتعجباً من تضليله – عليه السلام – إياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه – عليه السلام – على وجه الجد: أجئتنا بالجد أم أنت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح؟ وفي إيراد الشق الأخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيذان برجحانه عندهم.

قال – عليه السلام – إضراباً عمَّا بنوا عليه مقالهم من اعتقاد كونها أرباباً لهم كما يفصح عنه قولهم: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. كأنه قيل: ليس الأمر كذلك بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن. وقيل: هو إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه، وضمير "هنَّ" للسموات والأرض، وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أنَّ "ها" لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية أي أنشأهن بما فيهنَّ من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه، ورجع الضمير إلى التماثيل أَدخَلُ في تضليلهم وأظهرُ في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المُغْنِي عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات، وأنا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه كائناً ما كان مِن العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه. فإن الشاهد على الشيء من تحققه وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليهم وإثباته بها، كأنه قال: وأنا أُبيِّنُ ذلك وأُبرهِنُ عليه، ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ أي: لأجتهدنَّ في كسرها بعد أن تولوا مدبرين من عبادتهم إلى عيدكم.

وبعد توليهم قام بجعلها قطاعاً، وفيه إيذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل، وإنما قاله – عليه السلام – سراً. وقيل: سمعه رجل واحد. وكان سبب فعل إبراهيم – صلوات الله عليه – بآلهة قومه ذلك أنَّ إبراهيم–عليه السلام– قال له أبوه: يا إبراهيم إنَّ لنا عيداً، لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه؛ وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي. فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفى الناس ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم – عليه السلام – إلى بيت الآلهة، فإذا هنَّ في بهو[1] عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل

(1) البهو: البيت المقدم أمام البيوت. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (14/97-98).

صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم– عليه السلام، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[1] فلما لم تجبه، قال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[2]، فأخذ فأس حديدٍ، فنقر كل صنم في حافتيه، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي للأصنام، علق الفأس في عنقه، لعلهم يرجعون إليه فيسألونه عن الكاسر، لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملمات. وقيل: لعلهم إلى إبراهيم – عليه السلام– يرجعون، فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم. وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسرهم. ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم. قالوا حين رجعوا من عيدهم ورأوا مارأوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع، وإنما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا إليها بـ"هؤلاء" وهي بين أيديهم مبالغة في التشنيع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئناف مقرر لما قبله. وقيل: "من" موصولة، وهذه الجملة في حين الرفع على أنها خبر لها، والمعنى: الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا إنه معدود من جملة الظلمة، إما لجرأته على إهانتها وهي أحقية بالإعظام، أو لإفراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها، أو بتعريض نفسه للهلكة.

قال بعض منهم مجيبين للسائلين: سمعنا فتى يعيبهم، فلعله فعل ذلك بها، يقال له إبراهيم.

وفي هذا درس بليغ لأهل العقيدة والإيمان، ليقتدوا بالرسل الكرام، ويسيروا على نهجهم الكامل وسيرتهم العطرة، فإبراهيم –عليه السلام– يتبرأ من أبيه، ونوح يتبرأ من ابنه، وهذا هو كمال الإيمان، وهذه هي المُثُل الكاملة في دعوة أنبياء الله تعالى– عليهم أفضل الصلاة والتسليم.

قال السائلون: فأتُوا به على مرأى من الناس بحيث يكون نصب أعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحدٍ، لعلهم يحضرون عقوبتنا له. وقيل: لعلهم يشهدون بفعله أو بقوله ذلك.

فقيل: أتوا به ثم قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ اقتصاراً على حكاية مخاطبتهم إياه – عليه السلام – للتنبيه على أن إتيانهم به ومسارعتهم إلى ذلك أمر محقق غني عن البيان.

(1) سورة الصافات: آية(91).

(2) نفس السورة: آية(92-93).

قال: بل فعله كبيرهم هذا – مشيراً إلى الذي لم يكسره. سلك – عليه السلام – مسلكاً تعريضياً يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع مافيه من التوقي من الكذب حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك المعرض فعلاً بجعل الفأس في عنقه، وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الأصنام غاظته – عليه السلام – حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله – سبحانه، وكان غيظ كبيرهم أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه. وقيل: هو حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم، كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم، فإن من حقِّ من يُعبَد ويُدعى إلهاً أن يَقدِر على ما هو أشد من ذلك.

ويحكى أنه – عليه السلام – قال: فعله كبيرهم هذا، غَضِبَ أن تُعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها. فيكون تمثيلاً أراد به – عليه السلام – تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادته الأصنام. وأما ما قيل من أنه – عليه السلام – لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم، بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم، ومثَّل لذلك بما لو قال لك أُمي فيما كتبته بخط رشيق وأنت شهير بحسن الحط: أأنت كتبت هذا؟ فقلت له: بل أنت كتبته. كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك وإثباتها له. فبمعزل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وإدعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على أن صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك. ولا ريب في أن مراده – عليه السلام – من إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه، ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم، بل إنما مراده – عليه السلام – توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينبىء عنه قوله: فاسألوهم إن كانوا ممن يمكن أن ينطقوا. وإنما لم يقل – عليه السلام: إن كانوا يسمعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل – أيضاً– لِما أن نتيجة السؤال هو الجواب، وأن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل.

وقد حصل ذلك أولاً – حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: راجعوا عقولهم وتذكروا أن مالا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أوجلب منفعة له، فكيف يستحق أن يكون معبوداً!. فقال بعضهم لبعض فيما بينهم: ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي بهذا السؤال؛ لأنه كان على طريقة التوبيخ المستتبع

للمؤاخذة. أو بعبادة الأصنام لا لمن ظلمتموه بقولكم: إنه لمن الظالمين. أو أنتم ظالمون بعبادتها لا من كسرها هو الظالم.

ولهذا فقد كان إبراهيم –عليه السلام– دائباً في دعوته إلى الله – تعالى، لايفتأ يُذَكِّر قومه وعشيرته بالرجوع إلى الله – تعالى.

ثم قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة، وشبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء، وقالوا: والله لقد علمت أنَّ ليس مِن شأنهم النطق فيكف تأمرنا بسؤالهم؟! على أن المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما توهمه صيغة المضارع.

ثم قال – عليه السلام– مبكتاً لهم: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سُئلت عمن يأتيها بسوء فتُخبر به، فكيف ينفعونكم أو يضرون، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا. فإن العلم بحاله المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً.

ثم ظهر منه تضجر منهم – عليه السلام – من إصرارهم على الباطل البيِّن؛ فقال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ أي: قبحاً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قُبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتتركوا عبادتها، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضر.

قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل – وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة: حرقوه – فإنَّه أشد العقوبات، وانتقموا لآلهتكم إن كنتم ناصرين لها أو لشيء يُعتد به. قيل: إنَّهم لمَّا أجمعوا على إحراقه – عليه السلام– بنوا له حظيرة بكوثى[1]، وذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾[2]، فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطباً، حتى إن كانت المرأة لتمرض؛ فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنَّ حطباً لإبراهيم، فجمعوا له صلاب[3] الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوماً، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب أوقدوا ناراً عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد؛ حتى إن كانت الطير لتمر بها وهي في أقصى الجو

(1) موضع بسواد العراق في أرض بابل، وهي قرية من قرى الأنباط. يُنظر: **الحموي:** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية (1397هـ - 1977م)، (487/4).

(2) سورة الصافات: آية(97).

(3) الصلابة: ضد اللين. صلب الشيء شديده. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (527/1).

فتحترق من شدة وهجها، ولم يكد أحد يحوم حولها، فلم يعلموا كيف يلقونه – عليه السلام – فيها. فأتى إبليس وعلمهم عمل المنجنيق[1] فعملوه. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد فخسف الله – تعالى – به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

ولهذا فقد كان إبراهيم – عليه السلام – ذكياً صائب الرأي، وقد علم أن الحجة والبرهان للفظي – وإن وضحا وضوع الصبح – لاينفعان مالم يقارنهما الحس والبصر، لذلك فقد أراد أن يحرك – أيضاً – القوم مع أبصارهم، وأن يقرن حواسهم مع أفئدتهم، لعلهم يرجعون عن غيِّهم وباطلهم.

ثم عمدوا إلى إبراهيم – عليه السلام، فوضعوه فيه مغلولاً، فرموا به فيها، وأرادوا به مكراً عظيماً في الإضرار به، فقال له جبريل – عليهما السلام: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فاسأل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة، وذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، وفي الكلام متروك اجتُزئ بدلالة ما ذُكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له ناراً ليحرقوه، ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، أي كوني ذات برد وسلام. أي ابردي برداً غير ضار به. ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ أي: أخسر من كل خاسر؛ حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه – عليه السلام – على الحق، وهم على الباطل، وموجباً لارتفاع درجته، واستحقاقهم لأشد العذاب[2].

وقد أورد الرازي[3] –رحمه الله تعالى – في تفسيره لهذه القصة مسائل مهمة؛ ومنها:

---

(1) هو القذاف التي ترمى بها الحجارة، وهو دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جي نيك، أي ما أجودني، وهي مؤنثة؛ الجمع منجنيقات. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (338/10).

(2) تفاصيل القصة مأخوذة من كتابي: **الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الدكتور: عبد السند حسن يمامة، دار هجر، القاهرة ـــــ مصر، الطبعة الأولى (1422هـ ـــــ 2001م)، (290/16-310)، **والعمادي**: أبو السعود محمد بن محمد(ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بـتفسير أبي السعود**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (72/6-77).

(3) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ ويقال له ابن خطيب الريّ، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وكان يحسن الفارسية؛ من تصانيفه "مفاتيح الغيب" في تفسير القرآن الكريم، و "لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات" وغيرها كثير، توفي سنة ست وستمائة للهجرة. يُنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، (248/4) رقم(600)، **والسبكي**: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين(ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1413هـ)، (81/8) رقم(1089).

المسألة الأولى: أن القوم لم يجدوا في جوابه إلا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد النكير، لأنهم إذا كانوا على خطأ من أمرهم لم يعصمهم من هذا الخطأ أن آباءهم – أيضاً– سلكوا هذا الطريق فلا جرم، فأجابهم إبراهيم – عليه السلام – بقوله: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين.

فبيَّن أن الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين به، فلما حقق –عليه السلام– ذلك عليهم، ولم يجدوا من كلامه مُخَلِّصاً، ورأوه ثابتاً على الإنكار، قوي القلب فيه، وكانوا يستبعدون أن يجري مثل هذا الإنكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذهبهم، فعند ذلك قالوا له: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. موهمين بهذا الكلام أنه يبعد أن يقدم على الإنكار عليهم جادا في ذلك فعنده عدل –عليه السلام– إلى بيان التوحيد[1].

المسألة الثانية: أن القوم لما أوهموا أنه يمازح بما خاطبهم به في أصنامهم أظهر –عليه السلام– أنه مُجِدٌّ في إظهار الحق الذي هو التوحيد، وذلك بالقول أولاً، وبالفعل ثانياً، أما الطريقة القولية فهي قوله تعالى: ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، وهذه الدلالة تدل على أن الخالق الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن أن يُعبد، لأن من يقدر على ذلك يقدر على أن يضر وينفع في الدار الآخرة بالعقاب والثواب. فيرجع حاصل هذه الطريقة إلى الطريقة التي ذكرها لأبيه في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[2]، وأما الطريقة الفعلية فهي قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾، فإن القوم لمَّا لم ينتفعوا بالدلالة العقلية عدل إلى أن أراهم عدم الفائدة في عبادتها فعلياً[3].

ولا شك أن اجتماع القوم في صعيد واحد كانت أمنيةً لسيدنا إبراهيم –عليه السلام، ليُقيم لهم الحجة جميعاً على بطلان ما يعتقدون، ويريهم البرهان على فساد ما هم عليه عاكفون.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ففيه وجهان:

الأول: أن المقصود منه المبالغة في التأكيد والتحقيق، كقول الرجل إذا بالغ في مدح أحد أو ذمه أشهد أنه كريم أو ذميم.

(1) يُنظر: **الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي الشهير بخطيب الري (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، الطبعة الأولى (1401هـ 1981م)، (181/22).

(2) سورة مريم: آية(42).

(3) يُنظر: الرازي: مفاتيح الغيب، (181/22-182).

والثاني: أنه –عليه السلام– عنى بقوله: وأنا على ذلكم من الشاهدين إدعاء أنه قادر على إثبات ما ذكره بالحجة، وأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة، كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم[1].

المسألة الرابعة: إن قيل: أولئك الأقوام إما أن يقال إنهم كانوا عقلاء أو ما كانوا عقلاء. فإن كانوا عقلاء وجب أن يكونوا عالِمين بالضرورة أن تلك الأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، فأي حاجة في إثبات ذلك إلى كسرها؟ أقصى ما في الباب أن يقال: القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف والمسجد والمحراب، وكسرها لا يقدح في كونها معظمة من هذا الوجه.وإن قلنا: إنهم ما كانوا عقلاء وجب أن لا تحسن المناظرة معهم ولا بعثة الرسل إليهم.

والجواب: أنهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين بالضرورة أنها جمادات ولكن لعلهم كانوا يعتقدون فيها أنها تماثيل الكواكب، وأنها طلسمات موضوعة بحيث إن كل من عبدها انتفع بها، وكل من استخف بها ناله منها ضرر شديد، ثم إن إبراهيم –عليه السلام– كسرها مع أنه ما ناله منها البتة ضرر، فكان فعله دالاً على فساد مذهبهم من هذا الوجه[2].

ونضيف مسألة خامسة: وهي أنه من خلال ما سبق من القصة نجد أن قوم إبراهيم –عليه السلام– قد استعملوا طرقاً متعددة لمقارعته ومجادلته، ومن هذه الطرق:

1– الاستهزاء، وذلك حين قالوا له :﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ ، ونجد إبراهيم –عليه السلام– يُعرِض عن ذلك، لأنَّه ليس في معرض الانتصار للنفس؛ بل في مَعرِض الحوار الذي يراد به هداية الناس إلى الحق وإلى الخير وسبيل النجاة، والاشتغال بذلك يفتح الباب للإنحراف عن مَقصد الحوار، ولذلك كان رده لهم: ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

2– الاستدلال بتقليد الآباء والأجداد، وذلك في قولهم : ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾، وهذه ليست حجة قوم إبراهيم فحسب، بل هي حجة غيرهم من الأقوام، فالذين أصروا على الكفر من العرب– لمَّا بُعث محمد –ﷺ– كثير منهم إنَّما صدهم عن الإيمان هذه الحجة الواهية، ولا يزال كثير من الناس إلى يومنا يكذِّب محمداً –ﷺ– بالحجة ذاتها؛ ولكنه قد يصرِّح بها وقد لا يُصرِّح وهو الغالب.

(1) يُنظر: نفس المرجع: (182/22).

(2) يُنظر: الرازي: مفاتيح الغيب، (183/22).

وهذه الحجة قد أبطلها إبراهيم –عليه السلام– بكل بساطة ويُسْر –وفي جملة واحدة– حين قال: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فمتابعتكم لآبائكم في الخطأ لا تشفع لكم ولا لهم، وأنتم تَحتجون بصواب دينكم بأنه دين آباكم؛ وليس ذلك بِحجة؛ لأن النقاش أصلا إنَّما هو صحة دين آبائكم.

3– الإرهاب واستعمال القوة، وهذا سلاح العاجزين والمفلسين دائما، وذلك حين قالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾، ولكن الله تعالى يدافع عن أوليائه، وينصرهم ويؤيدهم، وهو قادر على ذلك فقال –عز وجل–: ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1].

وهكذا يتبين لنا من خلال أحداث القصة كيف استطاع إبراهيم–عليه السلام– أن يُنبه قومه من غفلتهم، ويُبين لهم بطلان عبادتهم للأوثان، كما رأينا الطرق التي سلكوها جدلاً ومقارعةً، لينتصروا لآلهتهم، كما رأينا حلم إبراهيم–عليه السلام– وحكمته وعلمه من خلال المنهج الذي انتهجه في الرد عليهم والحجج التي أقامها، فلما غُلبوا على أمرهم، وخافوا افتضاح حالهم، ولم يبق لهم حجة أو شبهة يكابرون بها، عمدوا إلى القوة، يسترون بها هزيمتهم، ويخفون باطلهم، فقالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

(1) الجزائري: فضيلة الشيخ الدكتور: محمد حاج عيسى، موقع إلكتروني اسمه: في طريق الصلاح، عنوان المقالة: **الحوار في قصة إبراهيم عليه السلام**، 16/ذي الحجة/1432هـ.

المبحث الثالث

إثبات مفهوم الربوبية والألوهية من خلال قصة إبراهيم –عليه السلام– في سورة الأنبياء

كانت قصة إبراهيم مع قومه شاهداً على بطلان الشرك الذي كان مماثلا لحال المشركين بمكة الذين جاء محمد –ﷺ– لقطع دابره. وفي ذكر قصة إبراهيم –عليه السلام– تورك على المشركين من أهل مكة إذ كانوا على الحالة التي نعاها جدهم إبراهيم –عليه السلام– على قومه، وكفى بذلك حجة عليهم. وأيضا فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى– عليهما السلام[1].

ومن خلال ما ذُكر في المبحث الأول والقصة التي سبق ذكرها وبيانها في المبحث الثاني يتبيَّن للقارئ الطريقة والمنهج الذي سلكه إبراهيم – عليه السلام– في إثبات ربوبية الله –ﷻ– وألوهيته، حيث في البداية سألهم عن تلك الأوثان التي يعبدونها، وما هي حقيقتها، رغم علمه بذلك، وإنما كان سؤاله استنكار لحالهم وعقليتهم وطريقة تفكيرهم، وعبَّر عن عبادتهم لها بلفظ "عاكفون" إشارة إلى كثرة عبادتهم لتلك الأصنام، وطول الفترة التي استمرت عليها حالهم تلك، حتى إنهم توارثوا تلك العبادة عن آبائهم وأجدادهم، ويؤيد ذلك جوابهم له بقولهم: إنهم ورثوا تلك العبادة عن آبائهم حيث وجدوهم يعبدونها، فعبدوها كما كان آباؤهم يفعلون.

(وكانت قولته هذه دليل رشده.. سمى تلك الأحجار والخشب باسمها: «هذه التماثيل» ولم يقل: إنها آلهة، واستنكر أن يعكفوا عليها بالعبادة. وكلمة «عاكفون» تفيد الانكباب الدائم المستمر. وهم لا يقضون وقتهم كله في عبادتها. ولكنهم يتعلقون بها. فهو عكوف معنوي لا زمني. وهو يسخف هذا التعلق ويبشعه بتصويرهم منكبين أبداً على هذه التماثيل!

فكان جوابهم وحجتهم أن «قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين» ! وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية. فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل[2]).

---

(1) **ابن عاشور:** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393ه)، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر(1984هـ)، (92/17).

(2) **الشاربي:** سيد قطب إبراهيم حسين (ت1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت– القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون (1423هـ –2003م)، (2385/17).

و(ليس حجة أن يضل إنسان لأن من قبله كان على ضلال.. وما جدوى أن يكون للإنسان عقل ينظر به في الأمور، ويتعرف إلى ما هو حق أو باطل، وخير أو شر!؟ ولم إذن يستعمل الإنسان عينيه، ولا يستغنى عنهما في التعرف

وكانت هذه الخطوة منه – عليه السلام – بمثابة إشارة خفية يُبين لهم زيف عبادتهم وضلال حالهم، ثم كانت الخطوة الثانية وهي بيان بطلان ما هم عليه من عبادة تلك الأصنام، وذمُّ تقليدهم لآبائهم وأن جميعهم لم يكونوا على صوابٍ في عبادتهم تلك، وأنهم باتباعهم لآبائهم في ذلك قد اشتركوا معهم في مجانبة الصواب والوقوع في الضلال، ولا يعني كون أغلبهم على ذلك أنهم على صواب، ولاسبباً لجعل الخطأ صواباً والضلال حقاً، وأنهم جميعهم في بُعدٍ عن الحق، وفي ضلالٍ واضح بيَّن لمن لديه عقل يفكر به وبصيرة يميز بها الحق من الباطل، ومع هذا فقد كان إبراهيم –عليه السلام– رحيماً رقيقاً وبراً تقياً، فلم يشأ أن يتركهم في ضلالهم يعمهون، بل عزم إلى أن يمحو العقائد الباطلة.

وخطوته هذه كانت أقوى من سابقتها في تنبيههم على بطلان عبادتهم لتلك الأصنام، وتركهم عبادة رب الأرباب، وسببت لهم ذلك صدمة في عقولهم حتى ظنوه مازحاً معهم، وحين رأوا جدية ما يقول طلبوا منه دليلاً واضحاً يؤيد صدق ما يقول، ظناً منهم استحالة أن يكون لديه دليل، وإنما موقفهم هذا لعمق إيمانهم بآلهتهم ويقينهم أنهم على حق، وأن ما سوى ذلك باطل محال.

(وهو سؤال المزعزع العقيدة، الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه، لأنه لم يتدبره ولم يتحقق منه. ولكنه كذلك معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد. فهو لا يدري أي الأقوال حق. والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل! وهذا هو التيه الذي يخبط فيه من لا يدينون بعقيدة التوحيد الناصعة الواضحة المستقيمة في العقل والضمير[1]).

وبعدها كانت صدمتهم أكبر وأقوى من سابقتها؛ حيث أعطاهم دليلاً على ذلك، وهذا الدليل وإن كان دليلاً قولياً إلا أنه عقلي منطقي موجود في كل أحدٍ بالفطرة، حيث قال لهم: ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

إذ المعروف أن من خلق السماوات والأرض هو الخالق لكل شيء موجود فيهما من إنس وجن وطير وحيوان وشجر وحجر وكل ما سوى ذلك، ظاهراً كان أو باطناً، فهو معروف بالفطرة أن الخالق لكل ذلك هو وحده المالك له والمتصرف به كما يشاء وكيفما شاء ومتى ما شاء.

(1) نفس المرجع والصفحة.

وإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك – فلا خالق لشيء دونه، ولا مالك لشيء غيره، وهو وحده الذي بيده الخير والشر، وبيده النفع والضر، وليس ذلك إلا لله – ﷻ، فهو وحده خالق السموات والأرض ومن فيهن، وهو رب كل شيء ومالكه، والمتصرف بكل شيء، والنافع والضار، والمعطي والمانع، والمحيي والمميت، وهو على كل شيء قدير.

ومن كان كذلك – والله سبحانه وتعالى كذلك – فهو أحق بالعبادة من غيره، وفي صرف العبادة إلى من هو دونه من الأوثان والأصنام وغيرها ظلم عظيم، إذ ليس من العدالة أن يُقدِّم لك شخصٌ معروفاً ثم تقوم فتشكر غيره على ذلك المعروف، فكيف ونعم الله – تعالى– فيك كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، ثم تقوم فتعبد من سواه.

وهذا هو ما يُسمى بتوحيد الربوبية، وهذا النوع من التوحيد لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركوز في الفطر، والقلوب مفطورة على الإقرار به، ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، ومن قال بذلك من الأمم الغابرة كفرعون وغيره فإنما قالوها بلسانهم وهم مُقرين بهم في نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1].

ورغم قوة هذا الدليل ووضوح حجته إلا أنه لم يكن له الأثر القوى على قومه، وعندما رأى – عليه السلام – سيطرة الضلال على قومه، وتمسكهم بزيف عبادتهم لأصنامهم، رأى أنه لا بد منه أن يُعطي دليلاً أقوى من سابقه، وأن يكون ملموساً لديهم يلامس الواقع الذي يعيشونه، علَّ ذلك يكون سبباً في هدم جدار الظلمة الذي خيَّم على قلوبهم، وأعمى بصيرتهم، وأعتم حياتهم، فقال لهم: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾، ويمكن أن تُسمى هذه الخطوة بيان ضعف آلهتهم وعجزها، وبطلان كونها إلهاً ، إذ لو كان إلهاً حقاً لما استطاع كيده، وكانت مكيدته لاصنامهم أن حطمهم وترك الصنم الأعظم تعبداً لديهم وهو كبير الأصنام واضعاً الفأس في عنقه، فلمَّا رأوا ذلك، وسألوا من عمل هذا بآلهتنا، وجاءوا بإبراهيم – عليه السلام– ليعاقبوه على مرأى ومسمع من الناس، وأرادوا أن يقيموا عليه الحجة أمام الملأ بسؤالهم: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾، فأجابهم بجواب أقام به الحجة عليهم؛ فقال: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾، وفي جوابه هذا تبكيت لهم، والمعنى: ألستم تعبدونهم، وتدعون عندهم، وتعتقدون نفعهم وضرهم، وتعتقدون فيهم كل ما يمكن أن يعتقده العابد في معبوده، فاسألوهم، هم حتى لا يستطيعون النطق فضلاً عن جلب النفع أو دفع الضر.

(1) سورة النمل: آية(14).

– لما تقدم للمحاكمة شخَّصة الأبصار لسماع الجواب والنقاش عندما ﷺفنجد أن إبراهيم – – حكيماً داهيةً، وسار بهم في الجدال إلى ناحية أخرى ليبلغ ﷺعُرِضَت عليه تلك الأسئلة، فقد كان – مقصده، ويبلِّغ رسالته مهما كانت النتائج، ليُلزِمهم الحجة لعلَّهم لى صوابهم، فقال: بل فعله كبيرهم ...(والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر. فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم– عليه السلام– والبحث :عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون. فالأمر أيسر من هذا بكثير! إنما أراد أن يقول لهم

إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكا. فهي جماد لا إدراك له أصلا. وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم إن هذا التمثال هو الذي حطمها![1]).

وفي ذلك دليل واضح وحجة عليهم، لأن من كان يتصف بعدم القدرة والاستطاعة لا يستحق أن يكون إلهاً، وكذلك هذه الأصنام، هي لا تستطيع النطق، فكيف من يستطيع النطق يعبد من هو دونه وأنقص منه في القدرة والصفات.

حينها علموا وأقروا في أنفسهم ظلمهم لخالقهم؛ حيث عبدوا دونه وهو أحق بالعبادة من غيره، وظلمهم إبراهيم – ﷺ –بتكذيبهم إياه، لكنهم عناداً واستكباراً تمسكوا بما هم عليه من الضلال، وردوا على إبراهيم – ﷺ– بالحجة التي اقامهما عليهم وقالوا:﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾، وهذا اعتراف صريح منهم بعجز آلهتهم عن النطق، فأقاموا الحجة على أنفسهم، إذ العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً.

(فلما اعترفوا بأن الأصنام لا تستطيع النطق انتهز إبراهيم –ﷺ– الفرصة لإرشادهم مفرعاً على اعترافهم بأنها لا تنطق استفهاماً إنكارياً على عبادتهم إياها، وزائداً بأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر.

وجعل عدم استطاعتها النفع والضر ملزوماً لعدم النطق؛ لأن النطق هو واسطة الافهام، ومن لا يستطيع الافهام تبيَّن أنه معدوم العقل وتوابعه من العلم والإرادة والقدرة[2]).

وهذا برهان عملي عقلي أقامه إبراهيم – ﷺ– عليهم، وحجة دامغة على بطلان عبادتهم لتلك الأوثان، فقال – ﷺ– مؤيداً لما توصلوا إليه من عجز آلهتهم: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾، والمعنى: إذا كنتم تُقِرون في أنفسكم عجز آلهتكم عن النطق فأضيفوا إلى

(1) الشاربي: في ظلال القرآن، (2387/17).

(2) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، (104/17).

عجزهم ذلك عجزهم عن النفع والضر، لأنهم لم يستطيعوا جلب النفع لأنفسهم، كما لم يستطيعوا دفع الضر والدفاع عن أنفسهم عند تحطيمهم، ومنعي من إلحاق الضرر بهم وتكسيرهم، ومن لا يستطيع جلب النفع لنفسه أو دفع الضر عنه، فكيف يستطيع أن يُقَدِّم شيئاً نافعاً لغيره، أو يدفع ضراً عنهم، لأنه عاجز، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً.

وهذا برهان عملي عقلي آخر، أقامه إبراهيم – عليه السلام– على قومه، إذ لا بد أن يكون الإله كاملاً لا ينقصه شيء، ولا يعيبه شيء، قادرٌ لا يُعجِزه شيء، وهو على كل شيء قدير.

ورغم كل هذه الحجج والبراهين إلا أنهم مصرين على ما هم عليه، فأراد – عليه السلام – أن يُحرِيك لديهم الشعور الوجداني لعل ذلك يُحرك مشاعرهم وتشتغل عقولهم، فقبحهم وقبح عبادتهم تلك، وذكَّرهم بعقولهم المعطلة، وحثهم على تشغيلها وإعمالها، وأن يفكروا ويتأملوا في قوله ودليله وحجته، وما يقومون به من أعمال ضاله باطلة؛ فقال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

لكن كل ذلك لم يُجدي معهم نفعاً، وفي الأخير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1]، وهذه إرادة الله تعالى ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، فرغم كل الأدلة والحجج والبراهين التي ساقها إبراهيم – عليه السلام– لقومه، إلا أنها لم تجد إلى قلوبهم طريقاً، ولا إلى عقولهم سبيلاً، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[3] ، وقالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾.

(واعلم أنه تعالى لما بيَّن ما أظهره إبراهيم –عليه السلام– من دلائل التوحيد وإبطال ما كانوا عليه من عبادة التماثيل أتبعه بما يدل على جهلهم، وأنهم: قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم).

وهكذا ظهرت آية الله الكبرى في حفظ عبده ورسوله إبراهيم الخليل عليه صلوات الله وسلامه، وردَّ الله كيدهم في نحورهم، ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.

وهذا تدبير إلهي وحكمة من الله – تعالى، ليظهر دليلاً آخراً يؤكد حجته –عليه السلام، ومعجزة تؤكد نبوته، وتؤيد صدق دعوته – عليه السلام، حيث إن النار لم تصبه ولم تلحق به أي أذى رغم أنه وسطها، في حين أنها أحرقت الطير وهو في أعالي السماء وفي منأى عنها.

---

(1) سورة القصص: آية(56).

(2) سورة المائدة: آية(41).

(3) سورة محمد: آية(16).

وهكذا (يظهر من خلال الآيات المنهج الإبراهيمي في الحوار مع قومه، وذلك بالبدء بالسؤال الذي يثير العقل من غفوته، وينبه النفس من غفلتها فسألهم ابتداءً عن ماهية هذه الآلهة والتماثيل التي يعبدون، فما كان لهم من حجة إلا حجة ضعيفة هالكة، هي التقليد للآباء، ومتابعتهم على ما كانوا عليه دون النظر إلى صواب الأمر من خطئه وصحته، واصل حواره معهم بأسلوبه اللين المقنع يثير الأسئلة في عقولهم ونفوسهم حتى يصلوا للجواب والصواب بأنفسهم، فلا تأخذهم عن الحق عزة، ولا يصرفهم كبر، وحين يتأملون هذه الأسئلة المثيرة، فسيجدون أنها لا تسمع ثناءاً، ولا تجلب نفعاً لنفسها فضلاً عن غيرها، ولا تدفع ضراً، فكيف تُعبد آلهة بمثل هذا العجز والضعف؟

وتبقى تلك الأسئلة التي أثارها إبراهيم – عليه السلام – تعمل عملها في الصدور، وكادت أن تؤثر وتثمر حين غضب إبراهيم – عليه السلام – من ضلالهم . وأراد بخطوة عملية أن يدلل لهم على عجز أصنامهم، وضلال أحلامهم حين راغ[1] على تلك الأصنام تحطيماً وتكسيراً، وأبقى كبيرها ليحتكموا إليه، فيرون عجزه وضعفه، وأنه لا يملك جواباً ولا يعرف صواباً ولا ينطق بحق أو باطل، وإنما هو حجر لا ينفع ولا يضر، وذلك حينما تساءلوا من فعل ذلك بآلهتهم، فأجابهم إبراهيم بجواب عليم حكيم، وقال لهم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، فقد صفعهم إبراهيم –عليه السلام– بهذه الحجة الدامغة، التي نبهتهم من غفلتهم، وأيقظتهم من غفوتهم، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، وقال: إنكم أنتم الظالمون.

لكن هذه الصحوة النفسية والعقلية ما لبثت أن غابت وتلاشت، وفعلت الحمية والعصبية للآباء فعلها، فنكسوا على رؤوسهم، وأغفلوا عقولهم، وذهبوا في غيهم وضلالهم، كأنما فكروا بأقدامهم، وأجابوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾، ثم أخذ يُبكّتهم على جهلهم، ويوبخهم على ثباتهم على الباطل بعد وضوح الحق وسطوعه كالشمس في رابعة[2] النهار.

وهنا يدفع بحجته في نحورهم فيقررها ويؤكدها : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

ويعبِّر عن ضجره منهم ومن آلهتهم مبيِّناً ضلالهم وعدم معقولية عملهم في عبادتهم لتلك الآلهة: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، ويتحول المشهد من الحوار بالدليل والحجة والتي

(1) أي: مال إليه سراً وحاد. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (431/8).

(2) أي: وسطه. يُنظر: عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (849/2).

كانت الغلبة فيها لإبراهيم على قومه إلى مواجهة الحجة بالقوة، وإساءة استعمال السلطة، حيث قالوا: ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾، فأخذوا أمام هذا الخيار بالأشق الأشد حين اختاروا الإحراق بالنار، فكان ابتلاءً آخراً لإبراهيم –عليه السلام– فأنجاه الله تعالى من النار، وجعلها عليه برداً وسلاماً)[1].

وهكذا يكتب الله تعالى الفوز والنجاة لأهل الفلاح، والخيبة والخسران لأهل الجور والطغيان، وأما إبراهيم –عليه السلام– فقد رعاه الله – تعالى– وكلأه، فلم تحق منه النار إلا الوثاق، وجاءه النداء الرباني: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من خلال هذه الرحلة العلمية القصيرة مع مفهوم الربوبية والألوهية من خلال قصة إبراهيم – عليه السلام– في سورة الأنبياء، وجمع مادتها ودراستها، أتمنى أن أكون قد أعطيت الموضوع حقه ولو مختصراً، ويظل عمل ابن آدم ناقصاً مهما حرص على الكمال فلا كامل إلا الله تعالى، وهدفي رضا الله تعالى، وخدمة الدين الإسلامي وتوضيح معالمه ما استطعت.

وفي هذه الخاتمة أتقدم بذكر أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، مع أهم توصياته ومقترحاته، وذلك على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

بعد هذا العرض المتواضع توصل البحث إلى النتائج التالية:

1– توحيد الربوبية: هو الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا النوع من التوحيد مركوز في الفطر، ولهذا فقد كان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية سبباً لإقامة الحجة عليهم.

(1) **الشايع**: أ. د. محمد بن عبد الرحمن، **الحوار في قصص إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم**، مؤتمر الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

منشور في موقع إلكتروني اسمه: الحوار اليوم، باشراف الشيخ الدكتور خالد حسن هنداوي.

2- توحيد الإلهية: هو إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والافتقار، والتوجه إليه تعالى، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل –عليهم الصلاة والسلام، ونزلت به الكتب.

3- توحيد الربوبية يستلزم منه توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فالعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة وثيقة ومتكاملة لا ينفك أحدها عن الآخر ولا يّقبل الله تعالى من عباده أحدها دون الآخر.

4- قصة إبراهيم –عليه السلام– وجداله مع قومه أظهرت أن الباطل لا يصير حقاً بكثرة المتمسكين به، ولا بطول ملازمته، وأن تقليدهم لأبائهم تقليداً أعمى جعلهم كما جعل آباءهم في ضلالٍ مبين.

5- حوار إبراهيم –عليه السلام– مع قومه أقام عدداً من الأدلة والبراهين لإثبات ربوبية الله تعالى وألوهيته، ومن هذه الأدلة ما هو قولي كما في قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾، ومنها ما هو فعلي كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.

6- أثبت إبراهيم –عليه السلام– لقومه بطلان عبادتهم للأوثان، وأثبت لهم النقص في آلهتهم، كونها لا تستطيع النطق، كما أثبت لهم عجزها كونها لا تستطيع جلب النفع لنفسها أو دفع الضر عنها، وذلك أنها لم تدافع عن نفسها حين حطمها –عليه السلام، فكيف لها أن تجلب نفعاً أو تدفع ضراً عن غيرها، والناقص والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً.

7- عقوبة قوم إبراهيم –عليه السلام– له جراء تحطيمه لأصنامهم كانت من أشد العقوبات وهو الحرق بالنار حياً مكبلاً، لكن الله – تعالى– منحه معجزة جديدة تؤكد صدق نبوته، وفيها خرق سنة من السنن الكونية حيث جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم –عليه السلام– بدلاً من أن تصيبه بأذى.

8- رغم كل الأدلة والبراهين والحجج التي قدَّمها –عليه السلام– لقومه إلا أنهم ظلوا متمسكين بما ورثوه عن آبائهم من الضلالة استكباراً وعناداً، ولسان حالهم يقول كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾.

ثانياً: التوصيات:

1- نُوصي الباحثين والمهتمين بعلم العقيدة بتناول قصة إبراهيم المذكورة في سورة الأنعام وسورة الشعراء على نفس هذا المسار لتبرز الجوانب العقدية التي فيها، كونها تتناول طرقاً عقلية وفطرية لإثبات الخالق وربوبيته وألوهيته.

2- كما نُوصي بتناول قصة إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم كاملاً، ومن جميع الجوانب، من تأملاته، وأسرته، وبنائه للكعبة، وتبشيره بأولاده، وقصته مع الذبيح، وشفاعته لآل لوط، ودعوته لأبيه وقومه، ومعجزاته، ومجادلته مع قومه، وموقفهم منه ومن دعوته، وكيف كانت نهايتهم بطريقة تخدم مواضيع العقيدة.

3- وفي الأخير نُوصي الباحثين والمهتمين بالاهتمام بالقصص القرآنية التي تحكي عن الرسل، وموقف أقوامهم منهم ومن دعوتهم، وكيف كانت نهايتهم، وذلك لما للقصة من أثر قوي في ترسيخ الإيمان بالله تعالى وفي التوجيه السلوكي والوجداني على مستوى الفرد والجماعة.

ثالثاً: المقترحات:

1- نقترح بعمل مشروع متكامل يضم جميع قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم وتناول ذلك بالبحث والدراسة من الناحية العقدية لا التفسيرية، يقوم به نخبة من علماء العقيدة والتفسير، يهتم من خلالها بالمسائل العقدية والقضايا الاعتقادية المتنوعة والتي تعرضت لها كل قصة بصورة مستقلة عن الأخرى وإن تشابهت أو تكررت المواقف؛ لأنها في كل مرة تكون لهدف آخر غير الذي سبقه.

2- كما نقترح أكثر من طريقة لتحقيق المشروع المشار إليه في النقطة السابقة، فيمكن تناول قصة كل نبي أو رسول على حدة بيحث يتناول جميع الآيات القرآنية الواردة في القرآن الكريم، وتناولها بطريقة التفسير العقدي للآيات، مع مزيد اهتمام وتفصيل للآيات التي تتناول قضايا عقدية. أو أن يأخذ الباحث موضوعاً عقدياً معيناً، ويجمع كل الآيات القرآنية من القصص النبوية التي تتحدث عن هذا الموضوع، ويتناولها بطريقة التفسير الموضوعي مع مزيد توضيح وتفصيل للمسائل العقدية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث ومصادره:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب الأخرى:

1- **ابن الأثير:** أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري(ت630هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (1415هـ – 1994م).

2- **ابن تيمية:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت728هـ)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى(1406 هـ – 1986 م).

3- **ابن تيمية:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت728هـ)، **مجموع الفتاوى**، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة.

4- **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى(1971م).

5- **ابن رجب:** عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ)، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى(1425 هـ – 2005 م).

6- **ابن عاشور:** محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393ه)، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر(1984هـ).

7- **ابن عبد البر:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى(1412هـ – 1992م).

8- **ابن عطية:** أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي(ت546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة محققة عن نسخة أيا صوفيا ـــــ استانبول، رقم 119،المحفوظة صورتها في مكتبة مرعشي بخفي ـــــ قمّ، دار الكتب العلمية، بيروت ـــــ لبنان، الطبعة الأولى (1422هـ ـــــ 2001م).

9- **ابن منظور:** محمد بن بكر (ت711هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، 1119كورنيش النيل، القاهرة.

10-**الثعلبي:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت427هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (1422هـ – 2002 م).

11-**الجزائري:** فضيلة الشيخ الدكتور: محمد حاج عيسى، موقع إلكتروني اسمه: في طريق الصلاح، عنوان المقالة: **الحوار في قصة إبراهيم عليه السلام**، 16/ذي الحجة/1432هـ.

12-**الجوزية:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم (ت751هـ)، **بدائع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

13-**الجوهري:** إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـــــــ لبنان، الطبعة الرابعة (1990م).

14-**الحموي:** شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية (1397هـ - 1977م).

15-**الداوودي:** شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المالكي(ت 945هـ)، **طبقات المفسرين للداوودي**، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

16-**الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي الشهير بخطيب الري (ت606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، الطبعة الأولى (1401هـ 1981م).

17-**السبكي:** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين(ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (1413هـ).

18-**السفاريني:** شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية (1402 هـ - 1982 م).

19-**الشاربي:** سيد قطب إبراهيم حسين (ت1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون (1423هـ -2003م).

20-**الشايع:** أ. د. محمد بن عبد الرحمن، **الحوار في قصص إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم**، مؤتمر الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة. منشور في موقع إلكتروني اسمه: الحوار اليوم، باشراف الشيخ الدكتور خالد حسن هنداوي.

21-**الشنقيطي:** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، سنة النشر(1415هـ- 1995م).

22-**الشيرازي:** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817)، **القاموس المحيط**، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، 1301هـ، الهيئة المصرية للكتاب.

23-**الصالحي:** صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي(ت792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية،** تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى (1426هـ – 2005م).

24-**صوفي:** عبد القادر بن محمد عطا، **المفيد في مهمات التوحيد،** دار الاعلام، الطبعة الأولى(1422هـ– 1423هـ).

25-**الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري،** تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الدكتور: عبد السند حسن يمامة، دار هجر، القاهرة مصر، الطبعة الأولى(1422هـ 2001م).

26-**عبد الوهاب:** سليمان بن عبد الله بن محمد(ت1233هـ)، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد،** تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى(1423هـ – 2002م).

27-**العمادي:** أبو السعود محمد بن محمد(ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود،** دار إحياء التراث العربي – بيروت.

28-**عمر:** أحمد مختار عبد الحميد (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة،** عالم الكتب، الطبعة الأولى(1429هـ – 2008م).

29-**الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ)، **كتاب العين،** تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

30-**القزويني:** أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق وضبط، عبد السلام هارون، دار الفكر.

31-**القزويني:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(ت395هـ)، **مجمل اللغة،** دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية(1406 هـ – 1986 م).

32-**القيسي:** شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد، الشهير بابن ناصر الدين (ت842هـ)، **الرد الوافر،** تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة(1411هـ -1991م).

33-**هرّاس:** محمد بن خليل حسن (ت1395هـ)، **شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية،** ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة(1415هـ).